مكية الجزء الثلاثون سورة الشمس آياتها ١٥

سُورَةُ الشَّمْسِ، مَكِّيَّةٌ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالشَّمْسِ﴾ أقسم الله بهذا المخلوق العظيم الذي جعله الله عَزَّوَجَلَّ مضيئًا لهذا العالم الذي نحن فيه، فنستفيد من ضوئها وحرها، ومن شروقها وأفولها.

والأصل أن الله عَزَّوَجَلَّ يقسم بما شاء من مخلوقاته؛ تعظيمًا لشأنها وبيانًا لمنزلتها، وأما المخلوق فلا يجوز له الحلف إلا بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن النبي ﷺ يقول: «**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**»(١)، وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، وَلَا بِالطَّوَاغِيتِ**»(٢)، وعنْ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَلَفْتُ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، ثُمَّ انْفُثْ عَنْ يَسَارِكَ ثَلَاثًا، وَتَعَوَّذْ وَلَا تَعُدْ**»(٣)، إلى غير ذلك من الأدلة.

وقيل: بأن في الآية محذوفًا، وهو: ورب الشمس وضحاها، ورب الضحى، ورب العصر، والمعنى الأول أليق؛ لأن الأصل عدم التقدير؛ ولأن الله عَزَّوَجَلَّ فعال لما يريد.

فيقول ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ قيل المراد به الضوء الذي ينبعث منها، وقيل المراد به النهار الذي يكون بسببها، أَيْ: أقسم الله عَزَّوَجَلَّ بالشمس، وأقسم بضحاها وهو النور الذي يغطي البسيطة.

﴿وَالْقَمَرِ﴾ وأقسم بالقمر المخلوق العظيم الذي جعل فيه آيات ظاهرات بينات، به يعرف تعاقب الشهور والأعوام، وبه يعرف الحساب، ومن عجيب شأنه أنه يبدأ هلالًا وينتهي بذلك، فيرتقي من مطلع إلى مطلع حتى يكتمل ليلة الرابع عشر أو الخامس عشر ثم يعود كالعرجون

---

(١) متفق عليه، البخاري (٢٦٧٩)، ومسلم (١٦٤٦)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) أخرجه أحمد (٢٠٦٢٤).
(٣) أخرجه أحمد (١٥٩٠)، وابن ماجه (٢٠٩٧).

القديم، حتى يصير هلالًا آخر لكن من جهة المشرق، فإذا ما ذهب نوره وصعد مرة أخرى من المغرب بدأ الشهر، فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذَا تَلَىٰهَا﴾ أَيْ: تلاها في الظهور والخروج، وقيل تلاها؛ لأنه يكون بعدها، والذي يظهر أن المعنى الأول هو المقارب؛ لأن النهار أولًا ويتلوه الليل، والقمر يكون في الليل.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ وأقسم أيضًا بالنهار الذي جعله لمعائش الناس، كما أنه جعل الليل لسبات الناس وراحتهم، وهذا من فضله عليهم، إلا أنهم اختلفوا في قوله: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ هل المعنى يعود إلى الشمس؛ لأن بعض أهل العلم جعل المعنى يعود إلى الشمس في جميع هذه الآيات.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ جلَّا الظلمة وغشى البسيطة بنوره، ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾ يغشى الشمس بظلمته فيذهب بضوئها، وقيل يغشى البسيطة، وهذا هو الصحيح؛ لأن الشمس ربما تكون شارقة في موطن آخر.

﴿وَٱلسَّمَآءِ﴾ أقسم بالمخلوق العظيم والجرم الكبير الذي جعله الله عَزَّوَجَلَّ سقفًا محفوظًا لهذه البسيطة، وأفرد السماء، ويدخل فيها جميع السموات، لأنها اسم جنس. حُليَّ بالألف واللام، فأفاد العموم، ﴿وَمَا بَنَىٰهَا﴾ قيل: والذي بناها، والمعنى والسماء والله، الذي بناها فكأنه حلف بالسماء وحلف بالذي بنى السماء، وقيل أيضًا والسماء وبنيانها، أَيْ: أنه أقسم بالسماء ذلك الجرم العظيم الذي ما بين أسفل كل سماء وأعلاه مسيرة خمسمائة عام، وأقسم ببنائها، أو وأقسم بنفسه المقدسة التي بنت تلك السماوات، وهذا دليل على قدرته العظيمة، فإنه لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض وهو العلي القدير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ أَيْ: وأقسم بهذه البسيطة التي نحن عليها وما فيها من الجبال والوديان والوهاد والبحار والأنهار والصحاري والقفار، ﴿وَمَا طَحَىٰهَا﴾ أَيْ: دحاها، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾﴾ [النازعات: ٣٠-٣١] وقد بسط الأرض وأعدها؛ لمصالح العباد ومنافعهم، وهذا ظاهر جلي، فلو كانت الأرض كلها على حالة واحدة ربما ما صلحت لسكنى الناس، ولوجدوا فيها العنت والتعب؛ لكن - سبحان الله - جعل فيها الجبال، وفيها من الثمار، والمياه، والمناخ ما يصلح به حال أهله، وخلق الأرض منبسطة، وفيها من التربة والمناخ ما يصلح به أهله، ويقع بها خير عظيم.

ثم قال: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ أَيْ: أقسم بنفسٍ وما سواها وقيل المراد نفس الإنسان المكلف

أقسم الله بها؛ لعجيب شأنها، فتفكر في نفسك أيها المخلوق، كيف تكون بين الحين والآخر تارة في فرح وتارة في حزن، وتارة في سرور وتارة في غضب وتشعر بتغيرات بداخلك وأنت جالس في موطنك، ربما تشعر بشدة حال وضيق نفس، وربما تشعر بانشراح صدر وسرور حال، وربما يغضبك ما لا يغضب، ويفرحك ما لا يفرح، وربما العكس.

فأقسم الله بهذه النفس ﴿وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ أَيْ: والذي سواها هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، خلقها على هذه الهيئة العظيمة، وقيل المراد جميع الأنفس المخلوقة، أقسم الله عَزَّوَجَلَّ بجميع مخلوقاته التي لها نفس، ولولا أن الله عَزَّوَجَلَّ جعل في الإنسان نفسًا لكان كالتمثال.

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ أَيْ: فأرشدها إلى فجورها وتقواها وبين لها ذلك وليس فيه أن الله عَزَّوَجَلَّ يحب الشر ويرضاه، بل إنه يبغضه ويأباه، ولكن هذا كقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان:٣]، وكقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد:١٠]، فالله عَزَّوَجَلَّ خلق الناس على حالين: حال إيمان وبر وهدى، وحال إجرام وكفر وبغي. ومعنى ألهمها ﴿فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾، أَيْ: أن هذه النفس سائرة إما إلى فجور إذا عصت الله عَزَّوَجَلَّ، وإما إلى هدى وتقى إذا لازمت شرع الله عَزَّوَجَلَّ.

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله عَزَّوَجَلَّ خالق كل شيء، إلا أنه خلق الخير وهو يحبه ويأمر به، وخلق الشر ولا يحبه وينهى عنه، فهذا هو المعنى، حتى لا يتبادر إلى الذهن معنى يخالف ما عليه اعتقاد أهل السنة والجماعة، فالمعنى جعل ما فيها من الفجور والتقوى، وذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الفجور قبل التقى؛ لأن أكثر الناس على مخالفة لأمر الله عَزَّوَجَلَّ، وإعراض عن دين الله عَزَّوَجَلَّ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ۝١٠٣﴾ [يوسف:١٠٣].

ثم في الآية معنى عظيم: وهو أن الله هو الذي يهدي من يشاء إلى أقوم الطرق وأحسن السبل؛ فضلًا منه ومنة ورحمة، ويضل من يشاء عدلًا منه ونقمة ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٤٦﴾ [فصلت:٤٦].

وفيها بيان أن نفوس البشرية تنقسم إلى قسمين: نفوس طائعة، وهي الممدوحة، ونفوس فاسدة فاسقة، وهي المذمومة. وفيها أن صلاح العبد يعود إلى صلاح نفسه، فمن كان في نفسه صالحًا كان في ظاهره صالحًا، ومن كان في نفسه فاسدًا كان في ظاهره فاسدًا. وبهذا تعلم أيها المسلم أنه يجب عليك أن تعالج نفسك بإخلاص العمل لله عَزَّوَجَلَّ وحسن المراقبة له، والمحبة لرسول الله ﷺ، ولأصحابه ولمن سار على سيره وهديه، والمحبة لكل كمال، والبغض لكل رذيلة.

فهذا أحد عَشرَ قسمًا، أقسم الله عَزَّوَجَلَّ بها، والجواب لها.

﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ أفلح في الحياة الدنيا، من زكى نفسه بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ، والفلاح هو حصول المطلوب والسلامة من المرهوب.

والمعنى الثاني: أن المفلح هو من زكاه الله عَزَّوَجَلَّ، وكلا المعنيين صواب، فالموفق للطاعات هو الذي يوفقه الله عَزَّوَجَلَّ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [النور:٢١]، وقد قال تعالى: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ [الأعلى:١٤] وفي دعوة إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [البقرة:١٢٩] أَيْ: يطهرهم من درن الذنوب والمعاصي، وفي دعاء النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا**»(١).

وقوله: ﴿ قَدۡ ﴾ تدل على التكثير وتدل على التحقيق وهو المراد هنا، ﴿ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ زكى النفس؛ لأن النفس إذا زكت زكت الأعمال، وإذا فسدت فسدت الأعمال كقول النبي ﷺ: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»(٢).

﴿ وَقَدۡ خَابَ ﴾ خاب في الدنيا وفي الآخرة ﴿ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ﴿١١١﴾ ﴾ [طه:١١١] لحقته الخيبة والخسارة.

﴿ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ أَيْ: الذي أخملها، ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى، وذلك بارتكاب المخالفات وبالمعاصي والسيئات، فأصبحت مخذولة سيئة غير محبوبة.

فيقول الله عَزَّوَجَلَّ بعد أن أقسم هذه الأيمان: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ وبهذا تعلم عظم شأن هذه النفس وحاجة العبد إلى مراقبة الله فيها وإلى صلاحها والنفس صلاحها بغير ما يصلح البدن، نعم هناك تعلق، لكن البدن يصلحه الطعام والشراب والنوم ونحو ذلك، والنفس تصلح بقراءة القرآن، وبذكر الملك الديان، والوقوف بين يدي الرحمن، والعمل بوحي الله عَزَّوَجَلَّ المنزل على النبي العدنان ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٢)، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) متفق عليه، البخاري (٣٣٣٤)، ومسلم (١٥٩٩)، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَىٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾

ثم أخبر الله جَلَّجَلَالُهُ عن حال ثمود مع نبيهم: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ أَيْ: أن قوم ثمود كذبوا بنبوة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأمره لهم بالكف عن الناقة، وكان سبب ما لحقهم من التكذيب هو الطغيان والفجور؛ لأن النفس إذا كان معها طغيان لا يصلح معها شيء، فلا تنفعها دعوة، ولا تذكير، وقيل معنى ﴿بِطَغْوَىٰهَا﴾ أَيْ: بأجمعها، فتمالؤوا جميعًا على عقر الناقة.

﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾ أَيْ: قام أشقى القوم، رجلٌ عزيزٌ في رهطه كعبد ابن زمعه، فعن عَبْدِ اللهِ بْنِ زَمْعَةَ، قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَذَكَرَ النَّاقَةَ، وَذَكَرَ الَّذِي عَقَرَهَا، فَقَالَ: «**إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا: انْبَعَثَ بِهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ عَارِمٌ مَنِيعٌ فِي رَهْطِهِ، مِثْلُ أَبِي زَمْعَةَ**»(١)، قام إلى تلك الناقة التي أمرهم الله بإكرامها، والشرب من لبنها، والقسمة للماء الذي بينهم وبينها، انبعث إليها وعقرها، وسماه الله شقيًا؛ لأنه أعرض عن أمر الله وأمر رسول الله ﷺ، وأضاف الله عَزَّوَجَلَّ الذبح إليهم جميعًا؛ لأنهم رضوا، والراضي كالآمر ففي قوله: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾ أَيْ: قام مسرعًا إلى فجوره وظلمه وبغيه.

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ اتركوا ناقة الله ولا تعترضوها ولا تمسوها بسوء، كما قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود:٦٤-٦٥].

وأضافها الله إلى نفسه إضافة تشريف.

ومن الفوارق بين إضافة الصفات وإضافة التشريف: أن الصفة معنى يقوم بغيره فإضافته إلى الله إضافة صفة: وجه الله، سمع الله، بصر الله، إرادة الله، محبة الله، غضب الله، أَيْ: أن الله موصوف بهذه الصفات، أما الناقة والبيت والعبد يقوم بنفسه، فإضافته إلى الله إضافة تشريف أو خلق وملك وإيجاد.

﴿وَسُقْيَىٰهَا﴾ يعني اتركوا سقياها لا تتعرضوها؛ لأنهم كانوا يشربون من لبنها يومًا وهي

---

(١) متفق عليه، البخاري (٤٩٤٢)، ومسلم (٢٨٥٥).

تشرب الماء يومًا، ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾﴾ [الشعراء:١٥٥]، ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ [القمر:٢٨] فأبوا وخالفوا هذا الأمر، ولو التزموا الشرع لكان خيرًا لهم.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ أعرضوا عن أمره، وارتكبوا نهيه وزجره، كذبوا رسالته ونبوته ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ عقرها واحد، وأضاف الله العقر إليهم جميعًا؛ لأنهم تمالؤوا، ولذلك كان العذاب عليهم جميعًا ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾ أهلكهم وغطاهم بسبب تلك المعصية العظيمة والجرم الكبير؛ بتكذيب النبي ﷺ، وتكذيب ما أمر الله به، ومخالفة شرع الله عَزَّوَجَلَّ ﴿بِذَنۢبِهِمْ﴾ بسبب ذنوبهم ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ سوَّى تلك القرية حيث أهلكها، فأخذتهم الصاعقة من فوقهم، والزلزلة من تحتهم، وبركوا على ركبهم يستغيثون فلا يغاثون، كما قال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾ [هود:٦٤-٦٨]، وهذا هو بطش الله الذي لا يعجزه شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فزكِّ نفسك، فإن هؤلاء لم يزكوا أنفسهم فلحقهم هذا العذاب، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾ [فصلت:١٧-١٨].

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا يَخَافُ اللَّهُ مِنْ أَحَدٍ تَبِعَةً؛ لأنه المالك المطلق، والقاهر الذي لا يغلب. وقيل: أَيْ: لَمْ يَخَفِ الَّذِي عَقَرَهَا عَاقِبَةَ مَا صَنَعَ. وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَوْلَى؛ لِدَلَالَةِ السِّيَاقِ عَلَيْهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ(١).

ففي هذه السورة آيات بينات ودلائل واضحات، وهي مرتكزة على ثلاثة أمور:

الأول: القسم من أجل تأكيد المحلوف عليه. والقسم يكون بالله عَزَّوَجَلَّ أو بصفة من صفاته، هذا في حق العبد، أما في حق الله عَزَّوَجَلَّ فله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته.

الثاني: أن زكاة النفس بطاعة الله وتوحيده وهي قطب رحي السعادة، وسبب الفلاح العظيم.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤١٤-٤١٥).

الثالث: قص الله عَزَّوَجَلَّ لنا ما لحق ثمود في اعتراضهم على شرع الله وأمره، فأهلكهم ودمدم عليهم، ولم يخف عاقبة ذلك الهلاك؛ لأنه القوي الذي لا يعجزه شيء، والغني الذي لا ينقصه شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والحمد لله رب العالمين.